• رسالة برلين الشرقية

المؤتمر البرلماني الدولي يدين إسرائيل بالإجماع لقرار ضم القدس

حامد دنيا

أكتوبر

نجح المؤتمر البرلماني الدولي الـ ٦٧ – ١٠٠٪

نجح المؤتمر البرلماني الدولي رقم ٦٧ الذي انعقد على مدى عشرة أيام في برلين الشرقية ، وانتهى يوم الأربعاء الماضي – ٢٤ سبتمبر الحالي – مائة في المائة ، بقاعة الاجتماعات الكبرى لمبنى البرلمان الألماني . فشلت كل محاولات العراق ، وهي تتزعم دول الرفض حاليا ، في استصدار قرار بإدانة اتفاق كامب ديفيد ، أو بتجميد عضوية مصر في البرلمان الدولي ، أو أي قرار آخر ضد ثورتي ٢٣ يوليو و ١٥ مايو ..

لم يستطع نعيم حداد عضو البعث العراقي رئيس وفده أن يضحك على أحد في كل لقاءاته بأعضاء الوفود سواء كانت خلف الكواليس أو في صالات أو ردهات فندق بالاس ، وهو أعظم فنادق ألمانيا الديمقراطية ، حيث خصص لإقامة أعضاء المؤتمر . كان أكثر من ٧٥٪ من أعضاء المؤتمر قد فهموا الموقف على حقيقته ، ولهذا لم يهاجم أحد مبادرة الرئيس السادات لزيارته للقدس أو اتفاق كامب ديفيد .. فشلت محاولات دول الرفض هذا العام ومن يسر يراهنا وهم يغدون على الأصابع ، كما فشلوا في العام الماضي ، رغم محاولاتهم المستميتة وإغراءاتهم المتنوعة لعدد غير قليل من الأعضاء ، في المؤتمر البرلماني الدولي رقم ٦٦ الذي انعقد بكراكاس عاصمة فنزويلا .

ولأول مرة .. كانت فتحة وفد فلسطين – بوصفها دولة مراقبة – على لسان مندوبها خالد الحسن مختفية في المؤتمر . لم يسب أو يلعن أو يقل كلاما غامضا .. بل إنه أيد مبدأ المفاوضات في إنهاء النزاع والخلافات الدولية بدلا من الاتجاه للحرب . وأصدر المؤتمر البرلماني الدولي قرارا بالإجماع بإدانة إسرائيل لقرارها بضم القدس العربية إلى القدس الشرقية واعتبارها عاصمة موحدة لإسرائيل . طالب إسرائيل بالعدول فورا عن هذا القرار واحترام قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة الصادرة في هذا الشأن .

صدر القرار بناء على المشروع الذي قدمته الدول العربية . والأكثر من هذا كله .. فلقد أيد لأول مرة اتفاقية كامب ديفيد ، منذ توقيعها .

أحد قادة المعسكر الشرقي .. أيدها الدكتور جيرهارد جينج نائب رئيس الدولة الألماني ورئيس الحزب الديمقراطي المسيحي ، وهو أحد الأحزاب المؤتلفة في الحكم حاليا . كما أنه أيضا الرئيس السابق للبرلمان في ألمانيا الديمقراطية .. أيد نائب رئيس الدولة الألماني اتفاقية كامب ديفيد عندما قال في حديثه إلى الدكتور صوفي أبو طالب الذي التقى به لمدة ساعة في مقر الحزب ، بناء على طلب نائب رئيس الدولة الألماني نفسه في يوم وصول الدكتور صوفي إلى برلين .

قال د . جيرهارد جينج للدكتور صوفي بالحرف الواحد : إن مبادرة السادات بزيارة القدس كانت شجاعة . إننا نؤيد مفاوضات السلام . ونرحب بالحرب . ولكننا نريد أن نتفاءل كل الأطراف المعنية فيها .

نصت مصر بذلك الباب نحو سلام شامل دائم في المنطقة . وكاتب ديفيد هي إطار العمل ، وتضمنت الكثير من النصوص حول قيام الفلسطينيين بانتخاب ممثلين لهم تقع على عاتقهم مسئولية البت في مصير الضفة الغربية وغزة بعد انتهاء فترة الانتقال .. وإن وجهة النظر المصرية في اتفاقية كامب ديفيد ، وتتفق معنا في ذلك أمريكا ، أن ما تقوم به إسرائيل حاليا من بناء مستوطنات جديدة ، يعتبر من قبيل العقبات في طريق السلام ، ويخالف المواثيق الدولية . واتفاقية كامب ديفيد نفسها . كما أن القانون الأخير الذي أصدره الكنيست الإسرائيلي بضم القدس العربية إلى إسرائيل واعتبارها عاصمة لها ، يخالف كل المواثيق الدولية وروح كامب ديفيد ، لأن القدس العربية جزء من الضفة الغربية . وغير صحيح أن هناك حقا تاريخيا لإسرائيل في القدس .. فميلاد دولة إسرائيل يبدأ منذ عام ١٩٤٨ طبقا لقرار الأمم المتحدة .. وإلا لتغيرت خريطة العالم .. وأنتم في ألمانيا الشرقية تدركون أهمية هذا الكلام لو رجعنا بالتاريخ إلى الوراء .. لو صحت حجة إسرائيل لكانت هناك دولة ألمانيا الشرقية .

وقال الدكتور صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب المصري للدكتور جيرهارد جينج نائب رئيس الدولة الألماني .. أريد أن أسألك بصراحة :

– أليست على مبادرة الرئيس السادات بزيارته للقدس ووصفتها بأنها شجاعة ، والكل يعلم أن الرئيس السادات قام بهذه الزيارة لأنكي يثبت للعالم أنه شجاع ، فهذه الصفة معروفة عنه منذ اشتراكه في ثورة يوليو وما تبعها من أحداث عظام .

إن الزيارة كان لها هدف سياسي وهو إقرار السلام الشامل العادل الكامل في منطقة الشرق الأوسط وإسقاط حجة إسرائيل بأنها قد بدأت الحرب من أجل السلام ، ولكنهم يرفضون دائما ، ويهددون بأنهم سوف يلقونها في البحر .. ووضع الرئيس السادات في خطابه التاريخي أمام الكنيست أسس هذا السلام الشامل .. وجاءت اتفاقية كامب ديفيد كأثر طبيعي لهذه الزيارة .. ومع كل هذه المبررات .. فإن عددا من الدول الاشتراكية وكثيرا من الدول العربية التي ترتبطون بصداقتها تصف هذه الاتفاقية بأنها اتفاقية ثانية تحقق سلاما منفردا ، مع أن واقع الاتفاقية يقطع بغير ذلك . فكيف تفسرون هذا الموقف ؟

نائب الرئيس الألماني : إننا نصفها بأنها ثانية لأنها انعقدت بين أطراف ثلاثة : مصر وإسرائيل وأمريكا . ولم تشترك فيها بقية الأطراف العربية .

د . صوفي : لعلك تذكر أن الرئيس السادات وجه الدعوة إلى مؤتمر عقد في القاهرة عقب المبادرة مباشرة في مبنى هاوس . دعا إليه كل الأطراف العربية ولكنهم رفضوا الحضور وظلت أماكنهم شاغرة في المؤتمر . ذلك ذلك قبل توقيع اتفاقية كامب ديفيد . وإزاء ذلك لم يكن أمام مصر من سبيل سوى الاستمرار في طريق السلام من موقع مسئوليتها العربية . وجاءت كامب ديفيد من الناحية الموضوعية مؤكدة للسلام الشامل العادل في المنطقة . ونصت صراحة على أن ما ورد في هذه الاتفاقية يسري بالنسبة لكل الأطراف العربية ، إذا ما انضمت إليها ورغبت في مباحثات السلام . ولو كانت الأطراف العربية حضرت مؤتمر القاهرة لكان من المحتمل ألا يثور هذا الجدل الذي لا معنى له حول طبيعة كامب ديفيد .

د . جيرهارد : هذا فعلا حدث . ولكن عدم انضمام الأطراف العربية لمؤتمر القاهرة ١٩٧٧ كان نابعا من إيمانهم بعدم الثقة في نوايا إسرائيل ورغبتها الجدية في إقرار السلام .

د . صوفي : مادام الأمر كذلك .. إذن فالسبيل إلى إقرار السلام في الشرق الأوسط عن طريق التفاوض مع إسرائيل . ولا يكون هناك سوى حل واحد لإنهاء الصراع في الشرق الأوسط وهو الحرب .. فهل هذا هو ما تنصحون به ؟

نائب الرئيس الألماني : لا .. نحن لا ننصح بالحرب ، ولا نقر الحرب كوسيلة لإنهاء المنازعات وإننا دائما ننادي بأن الوسائل السلمية هي الطريق الوحيد لفض المنازعات .

د . صوفي : مادا تقترحون إذن من جانبكم كوسيلة سلمية لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي في المنطقة ، علما بأننا من جانبنا قد وقعنا اتفاقية كامب ديفيد كخطوة أولى في سبيل إنهاء النزاع سلميا ، ورغم أن الدول الاشتراكية تعارضها ، وكثير من الدول العربية ترفض الانضمام إليها ؟

يقصد سوريا ومنظمة التحرير والاتحاد السوفيتي ، في المفاوضات .

وكانت هذه المقابلة التي طلب نائب رئيس الدولة الألماني فيها من الدكتور صوفي أبو طالب أن يلتقي به مرة ثانية قبل عودتهم إلى القاهرة لبحث وسائل توطيد وتدعيم العلاقات الثنائية بين البلدين في جميع المجالات قد دارت على الوجه التالي :

د . جيرهارد الألماني : أرحب بكم . لقد زرت قبل ذلك مصر عدة مرات . والتقيت بالرئيس الراحل عبد الناصر . كما التقيت بالرئيس السادات عندما كان رئيسا لمجلس الأمة . إنني أتمنى أن أزور مصر ثانية . وأن تتغير العلاقات بيننا وتعود إلى ما كانت عليه .

د . صوفي أبو طالب : نحن نرحب بكم في أي وقت . وعلاقاتنا مفتوحة مع كل دول العالم شرقا وغربا . ومصر تستقبل دائما وفودا سياسية وبرلمانية من مختلف دول العالم .

د . جيرهارد : إننا مهتم بالسلام جدا . لأن تقدم بلادنا وأوربا عامة رهين بالسلام العالمي . ولابد من المحافظة على سياسة الوفاق وتوازن عسكري وضرورة الحد من التسابق في التسلح . إن الحد من التسلح سوف يؤثر بالطبع على الدول النامية . ستوجه أموال التسلح في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في هذه الدول .

وتحدث نائب رئيس جمهورية ألمانيا عن السلام في الشرق الأوسط وأكد اهتمام بلاده بضرورة انسحاب إسرائيل من كل الأراضي العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ .. وأكد بالزوم على أمريكا كمعينة التي تقوم بها إسرائيل في المنطقة باعتبارها حليفتها ورئيسها في الشرق الأوسط .. ثم أتى على مبادرة الرئيس السادات بزيارته للقدس ، ووصفها بأنها شجاعة .

د . صوفي أبو طالب : كما أوضحت في المؤتمر البرلماني الدولي ، فإن مصر تستهدف إقامة سلام شامل ودائم في المنطقة يقوم على انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة وإقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما فيها حقه في تقرير مصيره . وقد تصدينا للمشكلة الفلسطينية باعتبارها لب الصراع والنزاع في الشرق الأوسط ، لأن انسحاب إسرائيل من سيناء لم يكن في يوم ما محل جدل أو مناقشة أو شك . ومن أجل ذلك قام الرئيس السادات بمبادرته التاريخية بزيارته للقدس

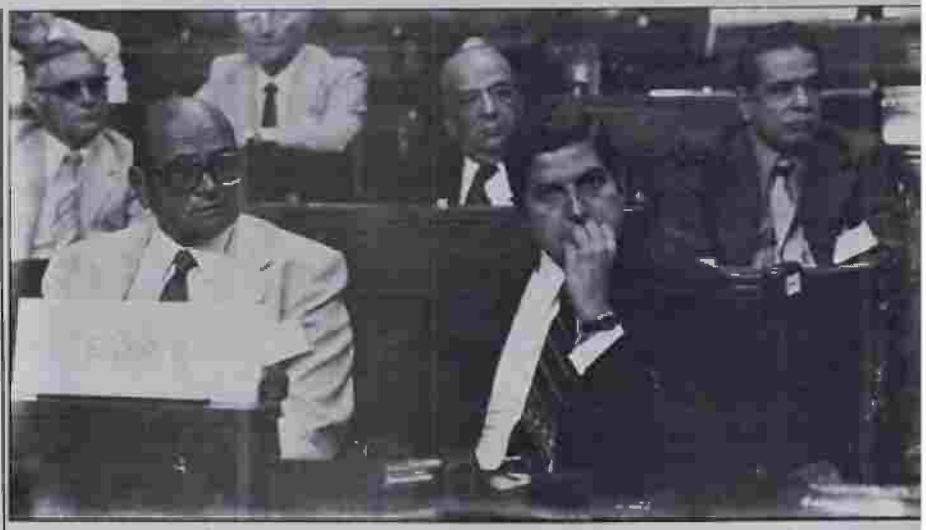

الدكتور محمد عبد اللاه نائب رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشعب وصلاح المستشار الواهم الشريبي أمين عام المجلس

وأنتم تحكم صداقتكم الوطيدة للعرب عليكم إقناع بعض أصدقائكم العرب الذين مازالوا يرددون نغمة إلقاء إسرائيل في البحر .. بأن الوسائل السلمية هي الوحيدة لحل الصراع العربي الإسرائيلي . أما من ناحية اتفاقية كامب ديفيد كخطوة أولى لحل الصراع .. فإن أصوب انطلاقا من مبدأ حل الصراع بالسبل السلمية ، أنكم تناقشون الاتفاقية وتعارضون مواقفكم على مايروقكم فيها من بنود ، وترفضون مالاترضون منها من بنود ، وتتحفظون على مالاترون التحفظ عليه من بنود .

أما رفضها ككل دون مناقشة فإنه يقع على عاتقكم انطلاقا من مبدأ حل الصراع بالطرق السلمية أن تقترحوا بديلا لاتفاقية كامب ديفيد ، خاصة أن مصر قد أعلنت مرارا أنها على استعداد لأن تقبل أي حل سلمي يقترحه الأشقاء العرب يحقق أفضل مما حققته كامب ديفيد وعليك حينئذ أن تعدلي على البديل الذي تراه أصلح من كامب ديفيد .

نائب رئيس الدولة الألماني : إن إسرائيل ليست راغبة في السلام ، وتشجعها في ذلك أمريكا .. والسبيل الأمثل للضغط على إسرائيل هو في عودة التضامن العربي .

د . صوف : وماهو تصورك لهذا التضامن ؟ كيف يعود ؟

د . جيرهارد جينتج : علينا أن نبحث عن طريقة أو وسيلة أو صيغة .

د . صوف أبو طالب : بصراحة .. ألا ترون معي أن موقف الدول الاشتراكية ودول الرفض العربية .. يقتضي عدم الاكتفاء – إذا كنا نريد حلا للصراع العربي الإسرائيلي من منطلق الأسلوب السلمي والتضامن العربي – بتصريحات مجرد الإدانة لإسرائيل دون اتخاذ أي إجراء إيجابي ضدها أو للضغط عليها حتى تغير من مسلكها ؟

نائب الرئيس الألماني : نحن نعمل ماق وسعنا لإقناع الدول العربية بضرورة الاتجاه للوسائل السلمية .

د . صوف : هناك العديد من الوسائل ، وأنتم لاشك تعرفونها ، وعلى سبيل المثال ، إن الدول العربية المنتجة للبترول تستطيع أن تستعمل سلاح البترول كوسيلة للضغط ، كما أن الدول الاشتراكية ، بما لها من علاقات اقتصادية مع إسرائيل تستطيع أيضا أن تستعمل العديد من الأساليب .

وانتهى هذا اللقاء الهام بين الدكتور صوف أبو طالب رئيس مجلس الشعب المصري وبين الدكتور جيرهارد جينتج نائب رئيس الدولة الألماني .. بعد أن تواعدا على اللقاء مرة ثانية مع كل أعضاء الوفد البرلماني المصري في المؤتمر البرلماني الدولي رقم ٦٧ .. حضر اللقاء صلاح أبو جبل سفيرنا في برلين الشرقية .

وقد أشاد الدكتور جيرهارد جينتج بالدور الذي يقوم به في سبيل تدعيم العلاقات بين مصر وألمانيا الديمقراطية .

نعود إلى اجتماعات المؤتمر البرلماني الدولي رقم ٦٧ كان على رأس القرارات التي أصدرها المؤتمر بالإجماع قرار إدانة إسرائيل لإعلانها ضم القدس العربية إلى إسرائيل واعتبارها عاصمة موحدة لإسرائيل .. طالب أعضاء المؤتمر بالإجماع .. ألف عضو .. أن تنسحب إسرائيل من كل الأراضي العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ .. وكان القرار استجابة للمشروع الذي قدمته الدول العربية .

واستجابة المؤتمر للمشروع الذي قدمته الدول العربية بإيجاد منطقة الخليج عن الصراع الحالي فأصدر توصية بذلك . كما أصدر المؤتمر قرارا جاء فيه طالب فيه السلطات الإيرانية بالإفراج فورا عن الرهائن الأمريكيين المحتجزين في السفارة الأمريكية بطهران .. وأدان المؤتمر الغزو السوفيتي لأفغانستان .. وأصدر المؤتمر عدة قرارات بخصوص الحد من التسلح والتسابق عليه ، والتنمية والاكثار من المساعدات للدول النامية .. استغرقت جلسات المؤتمر عشرة أيام صباحا ومساء ، وكان يمتد إلى منتصف الليل .

صفق الأعضاء لكلمة الدكتور صوف أبو طالب رئيس مجلس الشعب في المؤتمر .. وهو يشد ادعاءات الذين يصفون اتفاق كامب ديفيد بأنه صلح منفرد ، وعددهم لايتجاوز عشر عدد أعضاء المؤتمر المكون من ٧٥ دولة البالغ عددهم نحو ألف عضو .

وانفض المؤتمر البرلماني الدولي المنعقد في برلين هذا العام بشكل لافت للنظر لدرجة أن ممثل فلسطين خالد الحسن – ووفدنا يحضر المؤتمر بوصفه مراقبا – أيد مفاوضات السلام ، لم يعترض عليها ولكنه أبدى تحفظا عليها قائلا : إن من حق مصر أن تفاوض فيما يعلق بسيناء ، ولكن مصير فلسطين يجب أن يقرره الفلسطينيون أنفسهم عن طريق المفاوضات أيضا .. وهذه في الحقيقة نغمة جديدة لأول مرة .

وقد رد الدكتور صوف أبو طالب على هذه النقطة قائلا : إن أحدا لايستطيع أن يقرر أن مصر ادعت لنفسها أنها تتحدث باسم الفلسطينيين ، ولكن كما قال الرئيس السادات في المحافل الرسمية وفي كل المقامات والمناسبات . أكد أن مصر باتفاق كامب ديفيد إنما تريد تخليص الفلسطينيين من الاحتلال الإسرائيلي فقط ، وتمكينهم من ممارسة سيادتهم على أرضهم .. عندما تتحقق هذه النقطة سيوضع الفلسطينيون على الطريق السليم ، وسيقررون هم أمرهم بأنفسهم ..

وقد كان الدكتور صوف أبو طالب موضوعيا عندما رد على النقطة التي أثارها واحد أو اثنين من دول الرفض بأن مفاوضات السلام قد تعثرت ، بقوله .. إن المفاوضات تعثرت لعاملين أساسيين ظهرا بعد توقيع اتفاق كامب ديفيد وهما :

١ – الغزو السوفيتي لأفغانستان : وماترتب عليه من تهديد سلام المنطقة وخلق حالة من التوتر فيها ، وخاصة منطقة الخليج .

٢ – المواقف المتعنتة بل الاستفزازية من جانب حكومة إسرائيل في مفاوضات الحكم الذاتي ، والاستمرار في سياسة إقامة المستوطنات .. وآخر هذه الاستفزازات قرار إسرائيل بضم القدس العربية إلى إسرائيل .. وقد أدانت مصر كل هذه التصرفات في حينها ومازالت تستنكرها .

وتقد رد الدكتور صوف أبو طالب على حجة إسرائيل القائلة بأن تعثر مفاوضات السلام يرجع إلى رفض العرب لاتفاقية كامب ديفيد هو غير صحيح .. لأن السبب الحقيقي لرفض العرب لاتفاق كامب ديفيد يرجع من ناحية إلى موالاة بعضهم لموقف الاتحاد السوفيتي من الاتفاقية ، ويرجع من ناحية أخرى إلى أن بعض الدول العربية يرون في تصرفات إسرائيل دليلا على عدم جديتها وعدم رغبتها في إقرار سلام شامل يضمن الحقوق المشروعة للفلسطينيين .. ولذلك فإن المتوقع أن ينضم العرب لاتفاقيات السلام إذا ماوصلت المباحثات مع إسرائيل إلى نتائج إيجابية .

□□□ ولقد نجح الوفد البرلماني المصري بطريقة ملموسة لدرجة أن أعضاء الوفود الأفريقية اختاروا الدكتور محمد عبد اللاه رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشعب ليقوم بأعمال الترجمة من اللغة الانجليزية إلى الفرنسية ، وبالعكس ، بين المجموعتين الأفريقية الإنجليزية والفرنسية .. ولقد تطوع الدكتور عبد اللاه لمدة ساعة كاملة كان فيها أتعب الطبيب من جانب كل أعضاء المجموعة الفرنسية .

إن الوفد البرلماني المصري قد خطط للمؤتمر البرلماني الدولي رقم ٦٧ قبل سفره إلى ألمانيا الشرقية بوقت طويل . اجتمع أعضاء الوفد وهم الأساتذة محمد عبد الحميد رضوان وكيل المجلس وإبراهيم شكري زعيم المعارضة ومحمد عبد اللاه رئيس لجنة الشئون الخارجية وحافظ بدوي رئيس اللجنة التشريعية بالمجلس وكمال الشاذلي الأمين العام للحزب الوطني الحاكم وفتح الله رفعت رئيس اللجنة الاقتصادية والدكتور محمد الكموري رئيس لجنة الخطة والموازنة وحسن حافظ وكيل لجنة الشئون العربية والدكتورة فوزية حسن عضو المجلس ، والمستشار إبراهيم الشريبي أمين عام المجلس .

اجتمع أعضاء الوفد عدة مرات برئاسة الدكتور صوف أبو طالب للتنسيق وتوزيع الأدوار فيما بينهم . اختار كل منهم موضوعا محددا مدرجا بجدول الأعمال .

اختار محمد رضوان موضوع عدم الانحياز ، والدكتورة فوزية التنمية والعلاقات الاجتماعية ، والدكتور عبد اللاه الشئون الأفريقية ، وحسن حافظ شئون اللاجئين .

وقد اعتذر عن عدم السفر الأستاذ كمال الشاذلي بعد تعيينه أمينا مساعدا للحزب الوطني لانشغاله في الإعداد لانتخابات مجلس الشورى ، كما أعتذر أيضا في آخر لحظة الأستاذ حافظ بدوي .

وقد تحدثوا وأصابوا المرمى تماما .. طرحت في ملاحظات أو تساؤلات :

لماذا لاتحاول مصر من الآن أن تعد العدة لأن يعقد مؤتمر برلماني عالمي فيها على هذا المستوى – يحضره من ٧٥ إلى ١٠٠ دولة وأكثر من ألف عضو . كلهم برلمانيون لهم دور تشريعي كبير فيها .. لماذا لاتعد من الآن لعقد المؤتمر البرلماني رقم ٧٠ أو ٧٩ أي بعد ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات . في مصر ؟

لقد سألت هذا السؤال الكبير لكل أعضاء الوفد المصري .. وجميعهم قيادات برلمانية ممتازة .. وكانت إجابتهم كلها واحدة .. نعم . يجب أن يعقد هذا البرلمان .. إن عقده سوف يفيد مصر عالميا إلى درجة تفوق الوصف أولايمكن أن نقدر بمال .

ولما سألت : ولماذا إذن جمع من عقد هذا المؤتمر ؟

وكانت – مع الأسف – إجابتهم كلهم : الإمكانيات غير متاحة .

وأنا أقول : أية إمكانيات .. عندنا الجامعة .. وإذا كانوا لايريدون قيام المؤتمر البرلماني فيها .. فلماذا لاتقيم مصر قاعة دولية للمؤتمرات كالتي نراها في كل بلاد العالم الآن ؟ ..

إني أطرح هذا السؤال الكبير ، لأني وجدته يتفاعل في نفس كل شخص ، ولكنه لايستطيع أن يبوح به .. إني واثق أن السيد الرئيس السادات ، وهو راعي الحرية ومحقق سيادة القانون ، سوف يعطي التوجيهات لمناقشة هذا الاقتراح ..